المسحراتي ظهراً

كلنا نعرف المسحراتي .. ونحبه .. حتى الأطفال كانوا يحبون شهر رمضان ، وينتظرونه بفارغ الصبر من أجل المسحراتي وصوته الموقظ للنيام .. وطبله البسيط جميل الإيقاعات الرتيبة المصاحبة لذلك الصوت المألوف كل عام ، وفي كل ليلة من ليالي رمضان الكريم .. وكلنا يسمع تلك الدعوات الحسنة المحبوبة ونتصت إلي مفرداتها الطيبة .. ويرددها الأطفال مدة طويلة .. ونستخدمها في المناسبات التي تنطبق عليها فنقول ((اصحي يا نايم)) كلما أردنا حث أحد علي النهوض واليقظة . كافأ الله المسحراتي خيرا وجزاه أجرا لجهده المتواضع ونداءاته المتكررة في آخر الليالي المظلمة لإيقاظنا كي نتناول سحورنا ، ونستعد لصيام يوم قد يكون طويلا.

أن المسحراتي شخصية فريدة نادرة ليس مثله كثيرا، بل أن المسحراتي إنسان منقطع النظير إلي أبعد حد، وله قدرات لا تتوفر في غالبية الناس .. ومسؤولية المسحراتي مسؤولية أدبية تتعلق بالضمير والسريرة والإلزام الذاتي .. وهو حريص علي إيقاظ كل نائم ، ويتجشم المتاعب ويقطع المسافات مشيا علي قدميه، ويتخلل كل الأزقة والخلوات ليوقظ أصحابها .. وكم من عثرة تصادفه .. وكم من كبوة كباها نتيجة ذلك .. ولم ينقلب علي عقبيه .. ولم يتعكر مزاجه .. بل يمشي في سبيله مسبحا باسمه تعالي مواصلا مسيره حتى يسمع صوته الجميع .

العظيم أن المسحراتي لا يوقظه أحد .. فهو الذي يوقظ النيام ، فهو ليس مثل عامة الناس الذين يحتاجون الي طبل ودعاء ودعوات وتكرار حتي يصحوا.. نحن كلنا نستغرب في شخص المسحراتي .. حقا من أيقظه حتي يوقظنا ..ألاينام المسحراتي ..؟ ينام طبعا ينام ...! المسحراتي بشر مثلنا يتعب ، وينام ، ويمرض أيضا ،أو علي الأقل يحتاج الي النوم والراحة .. والعجيب أن يقظة المسحراتي تكون في وقت النوم ، ويقوم بمهمته المقدسة تلك في أوقات الاستغراق في النوم .. وفي وقت الارتخاء والركون للراحة ، ويمشي في الظلام أي في السحر في ذيول الليل البهيم يتعثر ويستمر .. ويكبو وينهض . وربما لهذا السبب يكره بعضنا المسحراتي كما يكره مؤذن الفجر..

الأن الأذان يتكـرر عـدة مـرات فـي اليـوم نتعودنـا عليـه ..ولـيس بنـادر فهـو يـؤذن طيلـة اليـوم مـن الـصبح الـي العـشاء.. المـؤذن أصـبح يعلـن الأذان مـن مكانـه .. بـل أصـبح المـؤذن يـؤذن وهـو متمـدد علـي الفـراش بواسـطة مكبـر صـوت ، فهـو لا يـزعج الـذين يكرهونـه لأنـه لا يتحـرك ولا يمـر أمـام أبـوابهم ، ولا يتوقـف أمامهـا منبهـا كمـا يفعـل المـسحراتي .. ثـم أن الأذان يتكـون مـن عبـارات محفوظـة ومحـددة لا أبـداع ولا جديـد فيهـا . بينمـا المـسحراتي يتحـرك ويبـدع .. يـدق الطبـل ويـدعو .. ويـسبح ويـسبح .. لـه أن يقـول كـل مـا مـن شـأنه إيقـاظ النيـام .. ولـه أن يكـرر النـداء والـدعاء ، ولكـن بأسـلوب طيـب يحبـه الأطفـال ، ويحـاولون حفـظ تلـك الـدعوات لحلاوتهـا .. ويرددونهـا حتـى ولـو لـم يفهمـوا معناهـا بعـد . صـوت المـسحراتي سـاحر كالـسحر وكالـسحر فهـو لا يـستعين بمكبـرات الـصوت المزعجة المنفرة الصاخبة الصامة كتلك التي يستخدمها المؤذنون في مالطا .

علـي أي حـال فالمـسحراتي نحبـه أو نكرهـه.. وحتـي الـذين يكرهونـه لأنـه يحـرمهم مـن نـوم الهزيـع الأخيـر مـن الليـل ..ويحـثهم علـي الاسـتعداد ليـوم الغـد .. يوم الصوم يذكرونه بالخير بعد فوات الأوان .

هذا عن المسحراتي في السحر .. ولكن ماذا عن المسحراتي ظهرا !!؟.